المصدر: القبس
التاريخ : ١٩٨٤/٤/٢٦

بعض خبايا ومزاجية الرئيس المؤمن

● انور السادات

● د. فؤاد محيي الدين

● حسب الله الكفراوي

السادات المنتقم

اراد زرع الصخور لتفتيش المحافظ!

كلما ابتعد الزمن عن يوم وفاة انـــور السادات ، كلمـا ازداد عدد الذين تنحـل عقـدة السنتهم ، وتتضح جوانب جديدة مـن شخصية واسلوب الرئيس السابق في معاملة الاخرين ، وخصوصا الذين كانت تربطه بهم صلات الصداقة والمودة قبل جلوسـه عـلى قمـة المسؤولية في مصر ، او روابـط زمالة العمل السياسي الذي انتهجه في مرحلـة الشباب .

ويكون الامـر مثيرا حقا ان من بين هـؤلاء الذين تنحل عقدة السنتهم شخصيات تحملت الى جواره مسؤوليات في الحكـم سواء طوال فترة حكمه او بعضها ، واتيـح لها معايشته والاطلاع على اسلوبـه في ادارة دفة الحكم ، وكيف يصدر القرارات التي تؤثر ايجابا او سلبا على حياة الملايين من المواطنين .

في سياق استباق ما سردته شخصية تحتل اعلى المناصب وكانت اثناء حكمه تشغل منصب محافظ في احدى محافظات الوجه القبلي الهامة لنقول ان معظم القرارات التي كان يصدرهـا الرئيس السابق انور السادات كانت بمثابـة ردود افعال مزاجية تجاه افراد او مواقف من اخرين ، ولذلك تراكمت الاخطاء وكلمـا اراد اصلاح احدها حاول ذلك برد فعل مزاجـي اخر فيزداد الخطا استفحالا ، ولا عجب بعـد ذلك ان تصل الامـور اثناء حكمه الـى ما وصلت اليـه على جميع المستويات وفي مختلف انواع الانشطة داخل المجتمع المصري والعلاقات المصرية ـ العربية .

اصل الحكاية

في كتابـه « البحث عن الذات » كتب عن الفترة التي قضاها في معتقل الزينون ، مذكر أن من بين الشخصيات التي التقى بهـا في المعتقل شخص يدعى عبد الغنـي سعيد ، وعندمـا قرأ صاحب هـذا الاسم الكتـاب ووصل الى انـه « شخص يدعى عبد الغني سعيد » جن جنونـه لسببين .

الاول : أن اسمه عبد المغني وليس عبد الغني ، وليس من المعقول ان كتابا للرئيس يمكن ان يرد به خطا مطبعي أو في التصحيح اللغوي والا وقعت الواقعة .

الثاني : انه ليس شخصا يدعى ، لان أنور السادات يعرفه جيدا وربطته به علاقات وطيدة سواء على مستوى العمل السياسي أو العلاقات الشخصية ، فقد القى القبض عليه في عوامة الراقصة حكمت فهمي ، وهو الذي عرفه بالجاسوسين الالمانيين اثناء الحرب العالمية الثانية ليصلح لهما الجهاز اللاسلكي ، لان انور السادات تخرج من الكلية الحربية ضابطا في سلاح الاشارة ، وقبل دخولهما السجن واثناءه وبعد الافراج عنهما كانت العلاقات بينهما وطيدة ، بل ان عبد المغني يعتبر نفسه صاحب افضال عليه فكيف يتعمد انور السادات كتابة اسمه خطا ثم يتجاهله الى حد اعتباره « شخص يدعى » ؟؟

لم يجد عبد المغني وسيلة ينفث بها عن غضبه سوى ان يكتب مقالا في مجلة « العمل » الشهرية التي تصدرها وزارة العمل ويشرف على تحريرها بعد خروجه الى المعاش تحت عنوان : « رد على الاستاذ انور السادات !»

بعد طبع المجلة اخذ عددا منها واعطاه الى قريبه المحافظ ، بمجرد ان وقعت عينا المحافظ على العنوان هاله الامر وتوقع شرا لقريبه وقبله للمنصب الذي بشغله .

انا الاستاذ ؟؟

ومرت ايام وعبد المغني ينتظر ما سيفعله به الرئيس السابق انور السادات ، وبينما كان المحافظ في زيارة لزوجته واولاده بالقاهرة ويتهيا لتناول طعام الغداء جاءه عبد المغني وقال له مبتهلا مسرورا : بس يا عم مكتب انور السادات طلبني بالتليفون وحدد لي موعدا في الثانية عشرة من ظهر اليوم للقائه .

وجن المحافظ من نتائج هذه المقابلة ، وحتى يطمئن قلبه قبل ان يستقل الطائرة عائدا

الى المحافظة ، طلب منه ان يأتي بعد انتهاء المقابلة مع الرئيس ليتناول طعام الغذاء معه وليسرد عليه تفاصيل اللقاء .

عاد عبد المغني الى بيت المحافظ ضاحكا يضرب كفا بكف .

● خير يا عبد المغني ايه اللي حدث ؟

ـ المقابلة لم تستغرق اكثر من ثلاثين ثانية.

● ثلاثين ثانية .. ازاي ، وقال لك ايه ؟

ـ قال لي : انا الاستاذ انور السادات يا عبد المغني ؟ فقلت له : انا جيت أرد عليك ككاتب يناقش كاتب وليس ككاتب يناقش رئيس الجمهورية ، وسيادتك عارف .. فقاطعني قائلا : خلاص المقابلة انتهت يا عبد المغني مع السلامة .. فمشيت !

وسافر المحافظ الى محافظته متوجسا موقنا ان ما فعله قريبه سيناله منه شررا واي شرر وصدر قرار من وزير القوى العاملة بتنحية عبد المغني عن الاشراف على تحرير مجلة « العمل » وخسر المائة وخمسين جنيها قيمة المكافاة الشهرية التي كان يتقاضاها .

عش عيشة اهلك

مرت أيام ثقيلة على المحافظ ، فطلب من زوجته الحضور للاقامة معه لتسري عنه القلق الذي يستبد به ، وفي احد الايام علم ان الرئيس السادات وصل الى المحافظة مساء ويطلب مقابلته صباحا في استراحته .

لم ينم المحافظ وزوجته طوال الليل ، فهذا أول لقاء معه بعد المقال اللعين الذي كتبه عبد المغني ، أخذ يعد في مذكراته ما سيرد به على الرئيس عندما يفاتحه في ما كتبه قريبه ، ويستعيد الكلمات التي سيعتذر في ما كتبه قريبه ، ويستعيد الكلمات التي سيعتذر بها نيابة عنه والمبررات التي سيسوقها وما الذي سيفعله اذا نحاه عن منصبه ..

قبل الموعد الذي حدده الرئيس ليلتقي به كان يقف في حديقة الاستراحة واضعا على رأسه القبعة كما اعتاد منذ شغل منصب المحافظ ، وما هي الا دقائق محدودة حتى شاهد فوزي عبد الحافظ السكرتير الشخصي للرئيس السابق السادات يأتي اليه مهرولا ،

وبعد ان سلم عليه لم يدعه الى الدخول للقاء الرئيس وشرب قهوة الصباح معه ومناقشه بعض المشروعات التي يهتم بها الرئيس السابق في المحافظة ، لكن استمهله قليلا حتى يخرج الرئيس ، وتوجس المحافظ شرا من هذا الموقف غير المالوف ، فسأل فوزي عبد الحافظ : كيف قضى سيادة الرئيس ليلته ؟

فقال له : سيادة الرئيس تعبان جدا .

قال المحافظ : تكلم معاك في اي حاجة كدا ولا كدا ؟؟

قال سكرتير الرئيس السابق : تكلم في ضيق شديد .

ادرك المحافظ ان هواجسه لها أساس واقعي ، وان امرا لا محالة سيحدث له اليوم

خرج الرئيس السابق من باب الاستراحة متوكئا على عصاه وخلفه المهندس حسب الله الكفراوي وزير التعمير والمجتمعات الجديدة ، عندما اقترب السادات من المحافظ لمح بوجهه ضيقا ممزوجا بالغضب ، أسر الى تحية الرئيس السابق والسلام عليه ، فرد تحيته بفتور وواصل السير ، وبعد قليل التفت اليه وقال : الا ايه يا بني اللي انت لابسه على راسك ده ، مش تعيش احسن عيشة اهلك وتلبس لبسهم ؟

لم يرد المحافظ او يعلق ، فهو يعلم ان السادات يريد ان ينفس عما في صدره ضد قريبه ، وقد تخير القبعة ليبدأ حملته ضده فلقد رآه من قبل عشرات المرات وهو يرتديها ولم يسبق ان علق مثل هذا التعليق بل هو شخصيا كثيرا ما يرتدي قبعة اثناء جولاته في فصل الصيف دون ان يعتبر هذا خروجا على معيشة الاهل وزيهم ، لكن وكما وضح من الكلمات التي وجهها اليه انه يريد استفزازه . فقد يستفزه ويخطىء في كلمة او كلمتين وهذا ما يرغبه السادات فيقدم على اتخاذ قرار تنحيته من منصبه انتقاما لمقال قريبه عبد المغني .

لكن المحافظ كان قد اتخذ قراره في الليلة السابقة بان لا يستفزه اطلاقا ما دام ما سيقوله

له لن يخرج عن الحدود المعقولة ، خصوصا وأن لا معركة له مع السادات ولا ارتكب خطأ وظيفيا يمكن ان يؤاخذه عليه ، وبالتالي فان السادات لن يجد مبررا لكل من يساله عن اسباب عزله من منصبه اذا أقدم على هذه الفعلة فازداد تمسكا بان لا يعطيه هذا المبرر ، أما ان يقوم هو على الاستقالة فهذا ما لم يخطر على باله .

سار الاربعة الى الطائرة الهليكوبتر وخلفهم المصور الصحافي فاروق ابراهيم في المقدمة ثم حسب الله الكفراوي وفوزي عبد الحافظ والمحافظ ، ركب السادات الطائرة وكذلك الثلاثة الاخرون بينما وقف المحافظ خارجها وبعد قليل قال له السادات : اركب .

المحافظ يقع في كمين

ركب المحافظ فوجد ان الكفراوي وعبد الحافظ قد احتلا المقعدين المواجهين للرئيس السابق بينما هو وضع نظارته وعصاه على المقعد المجاور له ، بعد تردد جلس المحافظ على مقعد بالصف المجاور للمقعد الذي يجلس عليه السادات ، ارتفعت الطائرة ، لاحظ المحافظ ان السادات يؤتى اصواتاً تنم عن غيظ دفين (يزوم) ، بعد قليل رفع السادات النظارة والعصا وقال للمحافظ وهو لا يزال (يزوم) اقعد هنا .

توغلت الطائرة الى منطقة صحراوية جبلية خارج عمران المحافظة ، ليس بها اثر لحياة ، مجرد رمال وصخور ، نظر السادات من النافذة ، ثم نظر الى المحافظ وقال له : انت شايف الارض اللي تحت دي كلها ..؟

اطل المحافظ عبر النافذة وقال : نعم يا سيادة الرئيس .

قال السادات : انا عايزك تزرعها !

اسقط الامر في يد المحافظ ، ، ادرك ان السادات يبحث عن سبب ليثبت عليه التقصير وبرر عزله من منصبه ، لم يعارضه لكنه لم يستسلم ايضا قال : نزرعها يا سيادة الرئيس ، لكن همة المهندس حسب الله

الكفراوي معايا ، هو يجهز المية وانا ازرعها واقترح تشكيل لجنة لبحث توفير الامكانات اللازمة لزراعتها وتعميرها .

قال السادات : انا قلت عايزك تزرعها يعني دي مسؤوليتك وتعمل اللازم .

قال المحافظ وقد ادرك انه وقع في المصيدة حاضر يا سيادة الرئيس .

وعادت الطائرة الى قاعدتها وذهب الرئيس وسكرتيره الخاص وحسب الله الكفراوي الى الاستراحة دون ان يدعو المحافظ ، وتاكد للرجل ان قرار عزله قد صدر فعلا وان امام اعلانه في الصحف يوم او اثنان على الاكثر .

ذهب الى بيته مكدودا ، استقبلته زوجته في لهفة ، استفسرته عما حدث بينه وبين السادات قال لها : احزمي ملابسنا وما نملكه من أثاث في هذا البيت لان قرار تنحيتي سيصدر بعد يوم او اثنين .

في صباح اليوم التالي نشرت الصحف اليومية صورة السادات وهو ينظر من خلف شباك الطائرة ، ثم عناوين وتحتها تفاصيل تقول انه تقرر زراعة مئات الالاف من الادنة في محافظة (...) ضمن مشروعات الامن الغذائي .

مرة اخرى أدرك المحافظ ان الفخ قد احكم حصاره حوله وهو واقع فيه لا محالة ، لكن ارادة الله فوق كل ما يربه البشر وان الناس في التفكير والرب في التدبير من خلال فعل اخر ينفذ خلاله ارادته .

((الاهالي)) تسعد رجلين

في يوم الاربعاء التالي لزيارة السادات للمحافظة ونشر خبر زراعة الرمال والصخور طلعت صحيفة ((الاهالي)) لسان حال حزب التجمع التقدمي الوحدوي بدراسة تفصيلية عن طبيعة المنطقة التي نشر ان السادات زارها وامر بزراعتها ضمن مشروعات الامن الغذائي واوضحت بالدليل والبرهان الموضوعي ان هذه المنطقة عبارة عن صخور وحجارة ورمال ولا انهر لمياه او حياة فيها ، وان القول بامكان زراعتها محض خيال وهراء ووسيلة لمضيعة ملايين اخرى

من الجنيهات في مشروعات غير مجدية شـان مشروع الصالحية ، ورغم معارضة « الاهالي » لمشروع الصالحية الا انها امتدحته باعتبـاره مشروعا واقعيا ، وان كان عائده غير مجز ، بالمقارنة الى المنطقة التي طار الرئيس السابق فوقها واختارها وهو سابح في الفضاء .

ولم يكن في مصر كلها اسعد من المحافـظ ثم حسـب اللـه الكفراوي وزيـر التعمـير والمجتمعات الجديدة من ما نشرته « الاهالي » فقد نزلت سطور الدراسة عليهما بردا وسلاما فقد جاءهما الفرج من اخر من كانا ينتظـران ان يأتيهما عن طريقة ، سعد المحافظ بما نشر ولشعوره ان فكى الفخ اللذين اطبقا عليـه كاد ان يفلت منهما ، فلم يعد الامـر مجـرد قرار اصدره رئيس الجمهورية السابق لاقامة مشروع امن غذائي ومجتمع جديد فوق الصخور الصلبة والرمال الملتهبة الجرداء ، واذا عجز عن تنفيذه اتهم بالتقصـير وتعويـق « الامـن الغذائي » ، فقد خرج المشروع المستحيل الى الضوء ، ولا شك ان الكثير من الاخصائيين في مشروعات استصلاح الاراضي يعرفون جيدا انه من المستحيل زراعة تلك المنطقة ، وان اختيار الرئيس السابق لها هو اختيار عشوائـي ، وان اخر ما يقصده هو اقامـة مشروع أمـن غذائي عليها ، وان هناك غرضا اخر فـي نفسه . كما ان المواطنين العاديين بعـد ان قراوا تلك الدراسة التي احدثت دويـا مشوبا بالاستهجان احسـوا ان السادات يـزداد تخبطا باقحام نفسه في اختصاصات ليس عليما بها ، والاجدر به ان يترك الاخصائيين فـي استصلاح الاراضي والزراعة يختارون مناطق الاستصلاح الجديدة وفق معايير علمية واقعية

وقد ساعد على حدوث هذا الدوي مـن الاستهجان ما شاب معظم مشروعات الامـن الغذائي في ذلك الوقت من اقاويل تدور حـول انها وسيلة للثراء غير المشروع ، وقد ناكـد للناس ذلك لانه كلما كثر حديث الرئيس السابق عن الرخاء المنتظر من وراء مشروعات الامـن الغذائي ، ازدادت ازمة السلع الغذائيـة استحكاما سواء باختفاء السلع الضرورية او ارتفاع اسعارها .

وسعد كذلك حسب الله الكفراوي بتلك الدراسة والدوي الذي احدثته لانه افلت هو الاخر من الوقوع في المصير الذي اراد المحافظ أن يشركه معه فيه .

ولعل تعاطف المهندس الكفراوي الحالى مع « الاهالي » سواء بعدم حجب اعلانات وزارته والشركات التابعة له عنها ، والرد على رسائل قرائها هو نوع من رد الجميل على الموقف غير المباشر الذي اتخذته من هذا المشروع الكيدي الوهمي .

وبعد ان ادلى العديد من الاخصائيين بآرائهم التي اكدت استحالة اقامة مشروع زراعي في تلك المنطقة ، لم يجد السادات بدا من اسدال الستار عليه ، ونسي بالتالي الى حين من عبد المغني وقريبه المحافظ ، ثم توالت الاحداث بعد ذلك وانشغل فيما هو اهم : حتى وقع حادث المنصة الذي اسدل نهائيا الستار على اسباب قلق المحافظ .

وفي اول تعديل وزاري اجري بعد تولي حسني مبارك رئاسة الجمهورية تم اختيار المحافظ لمنصب وزاري لا يزال يشغله الى يومنا هذا ، ويتمتع بثقة الرئيس مبارك وصداقة د. فؤاد محيي الدين رئيس الوزراء .

اما عبد المغني فقد خسر نهائية المائة وخمسين جنيها المكافاة الشهرية التي كان يتقاضاها من مجلة « العمل » لنشره مقال : « رد على الاستاذ انور السادات » !

القاهرة ـ القبس